تفسير النّظرية السّلوكية لاكتساب اللغة

تنظر السلوكية إلى اللغة نظرة سطحية، ويقتصر اكتسابها/تعلمها على الرّبط الميكانيكي بين المثير والاستجابة، ويتمّ ترسيخه عن طريق التّدريب، والثواب، والتعزيز (المادي والمعنوي) من خلال البيئة الاجتماعية، واللغوية. ويتّضح الدور الأساسي للبيئة الاجتماعية، واللغوية في اكتساب اللغة فيما يلي:

– تتأثر لغة الطفل بمحيطه الاجتماعي، والثقافي؛ حيث ينقل له نظاما من القواعد الخاصة بعشيرته.

– يرتبط محيط الطّفل اللغوي ارتباطا وثيقا بعوامل غير لغوية، وذات صلة بالتطور

الاجتماعي والانفعالي لعشيرته اللّغوية، والذي يظهر بوضوح من خلال اضطرابات التطور اللفظي. بحيث كلما كان المحيط اللغوي مناسبا يكون الاكتساب بشكل سريع وفعال، والعكس صحيح.

– ينمو الطفل في بيئة طبيعية واجتماعية لا تنفصل اللغة عنها؛ لأن اللغة تعود في

مظاهرها الدلالية إلى البيئة بالضرورة.

ويتضح مما سبق أن اللغة تكتسب من خلال التكرار والتعزيز، ومن خلال البيئة الاجتماعية والبيئة اللغوية. ويرى السلوكيون أن الطفل يمر في اكتسابه اللغوي عبر المراحل الآتية:

المرحلة الفونولوجية: حيث تتحول أصوات الطفل من شكلها الطبيعي والعفوي إلى أصوات لغوية وفونيمات تحترم سمات أصوات بيئته اللغوية، ويتدخل الراشدون لتعزيز وتصويب السمات الصوتية الصحيحة دون السمات الخاطئة.

–المرحلة النحوية والصرفية : يعمل والدا الطفل على تدعيم القواعد الصرفية، والنحوية السليمة؛ مما يسهم في بناء واكتساب لغة صحيحة صرفيا ونحويا.

–المرحلة الدلالية : يكتسب الطفل معاني الكلمات اعتمادا على تقنية الربط الصحيح بين الدال والمدلول داخل بيئة لغوية ما.

ويعد مبدأ التعميم أساسيا في عملية اكتساب اللغة لدى الاتجاه السلوكي، سواء تعلق الأمر بتعميم الدلالات والمعاني، أو تعميم الخصائص الصرفية والوظائف النحوية.

يعتمد الطفل وفق النظرية السلوكية في اكتسابه اللغة على مجموعة من المبادئ، أهمها مبدأ التقليد. حيث يقلد الأصوات والمقاطع والكلمات الصادرة عن أفراد بيئته اللغوية، قصد التعبير عن مشاعره ورغباته وحاجاته، والطموح لكي يصبح مثلهم. وتتوقف عملية التقليد على طبيعة ونوعية التعزيز الذي يستقبله الطفل من محيطه، و"تبدأ في نهاية السنة الأولى من عمره، لتتحول من عملية عفوية لا إرادية إلى عملية مقصودة يصاحبها الفهم، بعد أن كان هذا الأخير غير واضح تماما" .12وعملية التقليد لا قيمة لها دون اقترانها بمبدأ التعزيز، إذ يعمل المحيطون بالطفل على تعزيزه ومكافأته بإظهار سلوكيات إيجابية، مثل الابتسامة، وإصدار أصوات تدل على الفرح والسرور، والتقبيل، والاحتضان... .13وذكر سكينر أن تعزيز الطفل يشمل بداية التعابير اللغوية غير الصحيحة نحويا (التركيز على المعنى)، ثم بعد ذلك استخدام اللغة الصحيحة في جل مستوياتها. ولكن مع استمراره في نطق الكلمات والتعابير اللغوية الغريبة، والعديمة المعنى يتوقف المحيطون به (الأبوان خاصة) عن تعزيزه؛ مما ينعكس سلبا على نمو لغته، وتطورها .14

صفوة القول، تقوم مبادئ التقليد والمحاكاة والتعزيز (المادي والمعنوي) بدور حاسم في اكتساب/ تعلم الطفل للكلمات والتعابير اللغوية الصحيحة، ويستمر في الاستفادة منها ليشكل عادات استخدام اللغة استخداما صحيحا. والملاحظ أن المبادئ السابقة يمكن أن تصلح للتعابير والتراكيب اللغوية البسيطة، لكن يستبعد أن تفسر تعلم التراكيب الأكثر تعقيدا؛ مما دفع بالباحثين في اكتساب اللغة إلى البحث عن تفسيرات أخرى أكثر عمقا، وشمولية.

من مقال: اكتساب اللغة: دراسة مقارنة بين النظرية السلوكية والنظرية الفطرية للدكتور الحسن عبد النوري، مجلة الخليل في علوم اللسان، م01، ع2، ص 171-173

المطلوب:

تفهّم النّص بناء على ما درست، ثمّ اذكر الانتقادات الموجهة للنظرية السلوكية حول اكتساب اللغة.